



غافلنا ربح الربيع العربي عندما دارت فسرقتنا وطحننا في رجاها ونحن راضون، مسرورون، ومتحمسون، ربيع عربي صادف ربيع عمرنا فدرسنا ربيعنا الثاني كرما لربيعنا الأول، كيف لا وهو المخلص المنتظر لأوطاننا من يؤسنا العربي، من جحيم زعماء امتهنوا بالورثة طيلة عقود إذلال وسلب كرامة شعوبهم لأجل بقائهم حراساً لهيكل أسياهم رعاة حقوق الإنسان ودعاة إحيائها وهم قتلها الحقيقون.

ربيع عربي أحيانا وأماننا في آن معاً، أحياء بصيرتنا وأرشدنا لطريق خلقتنا للسير فيه حتى وصولنا نهايته أو نهايتنا، وأماننا فينا مع كل دم نازف وروح صاعدة قلوباً أعيثها مأساة ست سنين ونيف، أنضجتنا -هذه السنون الست- كما تنضج النار حبات القهوة، إلا أن نضوجنا كان سريعاً بعكس حبات القهوة، نضجنا ودقنا مرارة نضوجنا، مرارة تطيب لنا مع كل رشفة نرتشف فيها حكايا أعمارنا، حكايات هي وقصص ولحظات متباينة المشاعر، لا مجرد شهور وأيام وساعات.

ست ونيف غادرنا فيها حياتنا بخصوصيتها وكيونتها واستقرارها إلى حياة المجهول، جهلنا فيها مصائرنا، إلا أن الغاية كانت لنا معلومة، ست ونيف ابتعدنا فيها عن الأهل والأحبة، فارقنا فيها فلذات الأكباد، رفاق الدرب، الذين شاركونا أحلامنا، آمالنا، أوجعنا، وحتى معيشتنا أحياناً على مدى سنوات وشهور، وكان بهجة النصر المأمول لا تعظم قيمتها إلا بعد تعاظم الأسى واشتداد الألم.

ربيعٌ عربيٌّ أحيانا وأماتنا في آن معاً، أحياء بصيرتنا وأرشدنا لطريق خُلِقنا للسير فيه حتى وصولنا نهايته أو نهايتنا، وأمات فينا مع كل دم نازف وروح صاعدة قلوباً أعيّتها مأساة ست سنين ونيف

آمال عريضة وأحلام كبيرة ومستقبل رسمناه في أذهاننا عن وطن يملؤه الحب، تسوده الحرية، ويتقيؤ ظلال عدله أبناءه جميعاً من مختلف الأعراق والأديان، ثرنا لأجل هذا الحلم فصرخنا، وغنينا، ورقصنا، فرحنا وبكينا، تعلّقنا بحبال آمال النصر تارة، وخابت ظنوننا تارات، قاتلنا لأجله وقُوتلنا بسببه من أعداء الثورة الظاهرين والمُتعتّعين بقناعها.

الوطن، المجتمع المدني، القانون، الديمقراطية، وحرية الفكر، مُجرّد الإيمان بها كان كُفراً وخروجاً عن "الملّة"، وكانت كفيلةً لترشقنا سهام "الإخوة" المسمومة بحجة "الحفاظ على الشريعة وتطبيقها"، والحقيقة أنهم ما حافظوا إلا على الموروث البعثي المُستبد، وما طبّقوا إلا شريعة الغاب، فأغرقوا ثورتنا وأغروقنا معها.. ولا زال الكثير يُجهل مكن الخلل! ابحثوا في الفكر الوصائي، الإقصائي، الذي فرّخ لنا وما يزال -على مدى عقود- رؤوساً تُجيد الكلام حول الدين ولا تُجيد تطبيقه..

أُغتيل الربيع العربي في معظم الأوطان التي انفجر فيها، بسكاكين الثورات المضادة، ولا زالت هذه السكاكين تطعن في قلبه السوري الذي يضعف يوماً بعد آخر مقاوماً حتى زفرته الأخيرة، أو تعافيه مجدداً بمعجزة -قادرون على صنْعها إن أردنا- أشبه ببعث الربيع العربي نفسه، وهنا على أعتاب دمشق وثرها حيث طال البعد مع قصر المسافة بيننا وبينها، تتعلّق الأنظار بالمدينة المتوهجة المتألّنة في مساء صيفي لطيف، وتأسى على حالها وحالنا الشبيه بها فكلّنا سجينان، محاصران، أتعبنا الحنين إلى الحرية والنصر المنشودين، ويقتلنا مع كل مرة نفكر فيه، بعد أبادي عنها قد يحين يوماً..